



نَتَجَ عَنْ زِيَارَةِ رَئِيسِ حُكُومَةِ إِسْرَائِيلِ، بِنِيامِينْ نَتَنْيَاوَهُ، أَخِيرًا إِلَى رُوسِيَا، رَغْبَةِ الْآخِيرَةِ فِي تَشْكِيلِ مَجْمُوعَةِ دُولِيَّةٍ لِمُتَابِعَةِ الشَّأْنِ السُّورِيِّ، وَتَقْدِيمِ مِبَادِرَةٍ جَدِيدَةٍ، تَسْتَجِيبٌ لِلشُّرُوطِ الدُّولِيَّةِ، وَلِلتَّغْيِيرَاتِ الَّتِي حَدَثَتِ فِي الْوَاقِعِ، أَفْلَهَ مِنْذُ صَدُورِ قَرْارِ مَجْلِسِ الْأَمْنِ 2254، فِي أَوَّلِهِ عَامِ 2015، وَبِمَا يَنْسَجُ مَعَهُ، وَبِالْتَّالِي هُنَاكَ جَدِيدٌ يَتَعَلَّقُ بِاتِّساعِ فَجْوَةِ الْخَلَافِ بَيْنَ رُوسِيَا وَإِيْرَانَ، وَعُودَةِ رُوسِيَا إِلَى الْقَرْارِ الْمَذَكُورِ، وَعَدْمِ الْاعْتِمَادِ عَلَى مَسَارِ سُوتَشِيِّ وَحْدَهُ.

يَدْعُمُ الْأَفْكَارُ السَّابِقَةُ الْخَلَاصُ مِنْ تَنْظِيمِ الدُّولَةِ الإِسْلَامِيَّةِ (دَاعِشُ)، وَقَبْلَهُ مِنْ الْفَصَائِلِ كَافَةً، وَ"ضَبْطُ" الْمُتَبَقِّيَّةِ مِنْهَا تَحْتَ سِيَطَرَةِ تُرْكِيَا، شَرِيكِ رُوسِيَا فِي مَسَارَاتِ أَسْتَانَةِ وَسُوتَشِيِّ وَاتِّفَاقِ إِدْلِبِ، وَكَذَلِكَ الْمَصَالِحُ الرُّوسِيَّةُ التُّرْكِيَّةُ الْقَوِيَّةُ، بِغَضْنَّ النَّظرِ عَنِ الْوَضْعِ السُّورِيِّ. تَنْفَتَحُ أَمَامَ رُوسِيَا بِذَلِكَ فَرْصَةُ الْعُمُرِ، حِيثُ لَا أَطْمَاعُ أمِيرَكِيَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي سُورِيَا، وَغَيْرَتِ أمِيرَكَا مِنْ طَبِيعَةِ وُجُودِ قَوَاتِهَا نَحْوَ حَفْظِ السَّلَامِ بَيْنَ حَلْفَائِهَا الْأَتَرَاكَ وَالْأَكَرَادِ. وَهُنَاكَ الْقَرَاراتُ الْأَمِيرَكِيَّةُ الْمُتَتَالِيَّةُ ضِدَّ إِيْرَانَ. تَحرَّكَ تُرْكِيَا ضَمِّنَ آلِيَّةِ التَّنْسِيقِ مَعَ رُوسِيَا، وَكَذَلِكَ إِسْرَائِيلَ، وَالْآخِيرَةُ تَبْنِي سِيَاسَاتَهَا إِزَاءَ سُورِيَا بِالْتَّنْسِيقِ مَعَ رُوسِيَا؛ إِذَا هُنَاكَ فَرْصَةٌ تَارِيخِيَّةٌ لِرُوسِيَا فِي اِحْتِلَالِ سُورِيَا، فَهَلْ يَعْلَمُ الرُّوسُ كُلَّ هَذِهِ الْأَوْضَاعِ، وَيَفْصِلُونَ بَيْنَ سِيَاسَاتِهِمُ الْدُّولِيَّةِ وَسُورِيَا، وَالْخَلَافَاتِ فِي تَلْكَ السِّيَاسَاتِ مَعَ أُورُوبَا وَأَمِيرَكَا، وَيَتَجَهُونَ نَحْوَ مِبَادِرٍ جَدِيدٍ جَدِيدٍ، تَضَمِّنُ مَصَالِحَ الدُّولِ الْمُتَدَخِّلَةِ بِالْشَّأْنِ السُّورِيِّ، وَيَفْزُونَ بِسُورِيَا!

تَزَدَّادُ الْآنَ الْفَجَوَاتُ بَيْنَ رُوسِيَا وَإِيْرَانَ، وَيَقْفَضُ ضِدَّ الْآخِيرَةِ الْعَالَمِ بِأَكْمَلِهِ تَقْرِيبًا، حِيثُ شَمَلَ التَّنْسِيقُ الرُّوسِيُّ إِسْرَائِيليًّا إِخْرَاجَ الْقَوَاتِ الْأَجْنبِيَّةِ (إِيْرَانِيَّةِ)، وَأُعْطِيَتِ إِسْرَائِيلُ الْحَقَّ بِقَصْفِ كُلِّ الْمَنَاطِقِ الَّتِي تَوَجَّدُ فِيهَا الْقَوَاتِ الإِيْرَانِيَّةِ، وَرَبِّما تَعَدَّ إِسْرَائِيلُ الْآنَ عَمَلِيَّةً عَسْكَرِيَّةً ضَخِمَّاً ضِدَّ مَوَاقِعِ إِيْرَانَ فِي سُورِيَا خَصْصُوا، وَهُنَاكَ عَقَوْبَاتٌ أمِيرَكِيَّةٌ شَدِيدَةٌ عَلَى إِيْرَانَ،

وكذلك هناك محاولات أميركية لتشكيل حلف عسكري واسع ضدها، وهو ما يُعلن عنه عبر التنسيق المستمر بين بعض الدول العربية وأوروبا وأميركا، وتتالي المبادرات حول ذلك. تقول هذه التطورات إن هناك موقفاً دولياً وإقليمياً لتجريم إيران. ترافق الأخيرة ذلك كله، وتحرك إقليمياً ودولياً من أجل التخفيف من سرعة تلك الأحلاف المناهضة لها. أعاد تقدم تحركاتها إيقاف تعويم النظام السوري عبر جامعة الدول العربية، حيث جمدت أميركا التحركات المصرية والإماراتية نحو ذلك، ولم تسحب قواتها، والتي من أهدافها قطع الطريق البري لمراور الأسلحة الإيرانية إلى سوريا، ومراقبة التحركات الإيرانية في كل سوريا والمنطقة.

لا يتوقف الرد الإيراني الإعلامي عن التنديد بسياسات أميركا في المنطقة، وقد استدعت الرئيس السوري للتشاور بخصوص خطر التقارب الروسي الإسرائيلي عليه، وبخصوص تعاظم التنسيق الروسي التركي، سيما بعد تسيير دورياتٍ متوازيةٍ لكل من تركيا وروسيا، وتشمل كل محيط إدلب وحماء وحلب، وهذا يعني شطب مبرراتبقاء القوات الإيرانية، وتدعم اتفاق سوتشي، ومناطق غصن الزيتون وعفرين والوجود التركي في سوريا، وكذلك خطر بقاء القوات الأمريكية، ودعمها القوات الكردية.

تشمل الخلافات بين روسيا وإيران كل قضايا الحكم والاقتصاد في سوريا، وهذا مهم، لجهة دفع روسيا نحو إخراج القوات الإيرانية من سوريا، وتجريم المصالح الإيرانية في سوريا. لدى روسيا مشكلة حقيقة في سوريا، فبفأوها والاستثمار فيها ونهب اقتصادها يقتضي بالضرورة التمويل، والأخير سيأتي من أوروبا أو الخليج، حيث لن تصعد الصين خلافاتها مع أميركا بمعركةٍ جديدة في سوريا. أوروبا والخليج، تبنيان سياساتهما إزاء سوريا وفقاً للشروط الأمريكية، وما تسمح به وما ترفضه، أي ليس من أموال إعادة الإعمار قبل تحقيق هذه الشروط، والتي تتجاوز أهداف بقاء قوات أميركية في سوريا، فهناك عقوبات اقتصادية على النظام، ويمكن أن تنفذ على أية دولة أو شركة تقيم علاقات معه، وهناك رفض أمريكي لكل مسار سوتشي كما يريده الروس، ودفع الأخير للعودة إلى القرار 2254، وكذلك هناك شرط أمريكي، يقرن تدفق الأموال بالحل السياسي. وتجد روسيا إزاء المعطى الأميركي، والخلاف مع إيران والتنسيق مع إسرائيل، نفسها مضطورةً للبحث عن "مجموعة دولية" من أجل الانتقال بالوضع السوري نحو تفاوضات سياسية جديدة. ومبعوث الأمم المتحدة إلى سوريا، غير بيردسون، يقارب الوضع السوري واللجنة الدستورية، انطلاقاً من القرار نفسه.

وتتحرّك تركيا ضمن أفقٍ راضٍ بقاء قوات حزب الاتحاد الديمقراطي وفروعها، وتأخير تفكيك قوات هيئة تحرير الشام، لعقد صفقةٍ تتضمن حل قوات الطرفين معاً. هذا ليس جديداً، ولكن زوال "داعش"، وضبط الفصائل يدفع نحو ذلك. تركيا هنا، تناور بسبب "الحقيقة" الأمريكية في التعامل مع الشأن السوري، وتستفيد من العلاقات القوية مع روسيا؛ أقصد أنَّ الخلافات بين تركيا وروسيا ليست كالخلافات بين روسيا وإيران، والخلافات الأخيرة هي ما يعيق تطبيق اتفاق سوتشي (بين الرئيسين التركي أردوغان والروسي بوتين) كاملاً، وهناك معارك تندلع باستمرار بين قوات روسيا وإيران معاً، وهناك أوامر إيرانية لقوات النظام بقصف مناطق إدلب بشكل مستمر، وبقصد تخريب الاتفاق بين روسيا وتركيا.

في كل الأحوال، يشكّل تسيير الدوريات الموازية، وتحديداً التركية، والتي ترافقها قواتٌ من فيلق الشام، رسالة واضحة إلى روسيا، أنَّ تركيا عازمةٌ على التطبيق الكامل لاتفاق سوتشي، وتفكيك هيئة تحرير الشام مستقبلاً، وكذلك قتال حراس الدين وبقية الجهابين، وأنَّ إدلب لم تعد تشكّل خطراً، وفي هذا ترافق روسيا الاتفاق جوياً، وبراً. وبالتالي، يجب إنهاء أي "عبد إيراني من أجل خلط الأوراق" في إدلب، وهذا سيعني تصعيد الخلاف الروسي الإيراني، واحتمال تطورات جديدة بينهما على الأرضي السوري. ستجمّع المعارضة السورية في تركيا غداً الخميس (14/3/2019). وطبعاً لن تخرج بأية مبادرة أعلى من

قف سوتشي والاتفاقات الروسية التركية، لكنها قد تُصعد ضد هيئة تحرير الشام والجهاديين، وهذا سيصب في مصلحة تركيا، ليبدو وكأنها تتحرّك ميدانياً وسياسياً، ضمن اتفاق سوتشي، وهذا سيُجبر روسيا على إنهاء القصف المتالي على إدلب.

إذاً هناك جملة معطيات، قد تدفع روسيا إلى تقديم مبادرة تتجاوز "ثرثرة" اللجنة الدستورية، والمماطلة إزاء التغييرات المطلوبة في بنية النظام السوري، لتدفق الأموال. وبالتالي، هل حان الأوان لتطبيق قرار مجلس الأمن 2254، والذي يستند إلى كل القرارات الدولية المتعلقة بسوريا، ومنذ جنيف 2012، وبما يؤدي إلى تشكيل هيئة حكم انتقالية، وبما لا يفكّك النظام بشكل كامل، كما تمَّ في العراق ولibia، ولكنه لا يبقيه كما هو، وهذا سيفجر الخلافات مع إيران بالضرورة. فهل سنشهد سيناريو روسيا جديداً؟ إنه السيناريو الذي انتظره العالم بأكمله منذ إصدار القرار 2254.

المصادر:

العربي الجديد